Jurnal Mawali Volume 2, Nomor 1, Juni 2025
p-ISSN: : XXXX-XXXX e-ISSN: XXXX-XXXX
jurnal.mahadalywalindo.ac.id

المحتوى الإعجازي الطبي في سورة الأحقاف الآية ١٥ حول الحمل والولادة

ديندا كرتيكا
طلبة المعهد العالي واليندو
dindakartika605@gmail.com

ملخص البحث

يُعَدّ الحمل مرحلةً مهمّةً وعميقةَ المعنى في حياة المرأة. فهو لا يجلب الفرح فقط، خاصةً إذا كان الحمل مرغوبًا بشدة، بل يرافقه أيضًا تحديات جسدية ونفسية وروحية متعددة. فمن الناحية الفسيولوجية، يعتمد الجنين اعتمادًا كليًا على جسم الأم في تغذيته، وفي حال نقصت المواد الغذائية، فإن ذلك قد يؤثر سلبًا على صحة الأم. ومن منظور الإسلام، فقد سجّل القرآن الكريم تجربة الحمل الشاقّة التي تمرّ بها الأم، كما يتجلى ذلك في قصة مريم عليها السلام، وفي بيان الله تعالى في سورة الأحقاف الآية 15. فقد واجهت مريم ضغوطًا نفسية، ووحدة، وألمًا شديدًا قبيل الولادة. وقد فسّر العلماء مثل الشيخ السعدي والجميلي هذه الآيات بأن المعاناة الجسدية والنفسية التي تتحملها الأم الحامل تُعد من أهم الأسباب التي تجعل الإسلام يوصي بشدة بإكرام الأم. وتؤيد البحوث الطبية الحديثة هذا المعنى، حيث تبيّن أن جسم الأم يمرّ بتحولات كبيرة منذ لحظة انغراس النطفة (الزيجوت) إلى مراحل تطوّر الجنين. كما بيّن النبي ﷺ – بوحي من الله – مراحل خلق الإنسان في رحم أمه بشكل دقيق، وقد أثبت العلم الحديث صحة هذه المراحل بشكل مدهش. وعلى الجانب الآخر، تتعرض الأم الحامل لاحتمالات الإصابة بمشكلات صحية مختلفة، من خفيفة كالغثيان والتقيؤ، إلى مضاعفات خطيرة كارتفاع ضغط الدم الحاد (ما قبل تسمّم الحمل) أو حتى خطر الوفاة أثناء الولادة. ولهذا، فإن هذا البحث يؤكد أن الحمل ليس مجرد ظاهرة بيولوجية، بل هو أيضًا من آيات قدرة الله تعالى ورحمته بالبشر، ويُعدّ أساسًا روحيًا عميقًا لتوقير الأم وإعطائها مكانتها السامية.

الكلمات المفتاحية: الإعجاز الطبي، الإعجاز في الحمل، الولادة، تكريم الأم.

Abstract

Pregnancy is a significant and meaningful phase in a woman's life. While it brings joy, especially when highly anticipated, it also presents various physical, psychological, and spiritual challenges. Physiologically, the fetus obtains all its nutritional needs from the mother's body, and an inadequate or imbalanced intake can negatively affect the mother's health. From an Islamic perspective, the Qur'an has long recorded the hardships endured by pregnant women, as illustrated in the story of Maryam and the explanation in Surah Al-Ahqaf: 15. Maryam experienced emotional distress, isolation, and intense pain as she approached childbirth. Commentators such as Shaykh As-Sa'di and Al-Jumailī interpret this physical and psychological suffering as a key reason why Islam places great emphasis on honoring mothers. Medical research supports this view, showing that the mother's body undergoes dramatic changes from the implantation of the zygote to the development of the fetus. Prophet Muhammad ﷺ, through divine revelation, described the stages of human creation in the womb in detail—descriptions that align with modern medical knowledge. Furthermore, pregnant women are vulnerable to various health complications, ranging from mild conditions like nausea to serious issues such as preeclampsia and even maternal mortality. Therefore, this study affirms that pregnancy is not merely a biological process, but also a sign of Allah's power and mercy toward humankind, and a spiritual foundation for honoring mothers.

Keywords: *I'jāz Ṭibbī, Medical Miracles, Pregnancy, Childbirth.*

أ. مقدمة

إنَّ القرآن الكريم، باعتباره كتابًا مقدسًا للمسلمين، لا يقتصر على كونه مصدرًا للهداية الروحية فحسب، بل يحتوي أيضًا على إشارات علمية أثبتت ملاءمتها وصحتها عبر العصور. ومن مظاهر خصوصية هذا الكتاب الإلهي الإعجاز، وهو الجانب الذي يُظهر أن الوحي الإلهي يتضمن حقائق تتجاوز المعرفة البشرية في زمن النزول. ومن فروع هذا الإعجاز: الإعجاز الطّبّي، الذي يكشف عن التوافق بين توجيهات القرآن الكريم والاكتشافات الحديثة في علم الطب.

ومن الآيات التي تحمل إشارات طبية واضحة قوله تعالى في سورة الأحقاف آية 15، حيث ورد فيها وصف لمراحل تطور الإنسان في الرحم حتى مرحلة الولادة. وقد ذكر الله سبحانه مدة الحمل والفصال بشكل محدد، وهي ثلاثون شهرًا، مما يشير إلى عملية فسيولوجية معقدة تتماشى مع ما توصّل إليه الطب الحديث. وهذا ما جذب اهتمام العلماء المسلمين المعاصرين، ومنهم الدكتور سيد الجميلي، الذي تناول هذه الظاهرة في كتابه : *الإعجاز الطّبّي في القرآن الكريم*.

وقد أشار الدكتور الجميلي في مؤلفه إلى أن ما ورد في القرآن الكريم بشأن الحمل والولادة لا يتعارض مع علم الأجنة وطب النساء الحديث، بل يتقدّم عليه في توصيف مدة نمو الجنين والتغيرات الفسيولوجية التي تمر بها الأم. وتشير الدراسات الحديثة في مجال التوليد إلى أن مدة الحمل الطبيعية تبلغ حوالي 266 يومًا أو 38 أسبوعًا من لحظة التلقيح، أو حوالي تسعة أشهر وعشرة أيام من أول يوم من آخر دورة شهرية. وإذا أضيفت إلى هذه المدة فترة الرضاعة التي حددها القرآن بعامين (24 شهرًا) كما في قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ ۖ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ ۖ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾ لقمان: 14

فإن المدة الإجمالية المذكورة في القرآن، وهي ثلاثون شهرًا، تعبّر عن انسجام رائع بين الوحي والعلم. لذلك، من الضروري دراسة هذه الآية من منظور الإعجاز الطّبّي لإبراز أن القرآن الكريم لا يتحدث فقط عن القيم الأخلاقية والإيمانية، بل يحتوي أيضًا على إشارات علمية يمكن أن تسهم في تطور المعرفة البشرية. ولا يقتصر هذا البحث على إثبات العلاقة بين القرآن والطب، بل يعزز أيضًا الإيمان بأن الوحي الإلهي له بعد علمي حقيقي يمكن اختباره وتحليله عقلًا وتجربة. لأن القرآن كتاب صالح لكل زمان ومكان، مهما تطورت العصور وتقدّمت العلوم.

ب. منهج البحث

وتستخدم هذه الدراسة المنهج النوعي (الكيفي) من خلال أسلوب البحث المكتبي،[1] حيث يتم الرجوع إلى المصادر المتعلّقة بالموضوع، وتحليل النصوص لفهمها نظريًا ونصيًا. وتبدأ الخطوات بانتقاء الآيات المتعلقة بالموضوع، ثم تقديم تفسيرات العلماء والمفسرين. بعد ذلك، يتم تحليل النتائج من جوانب لغوية وتفسيرية وطبية، لبيان مظاهر الإعجاز الطّبّي في سورة الأحقاف الآية 15، والخروج باستنتاجات متّسقة بين النص القرآني والمعطيات العلمية.

وتعتمد الدراسة على مصادر التفسير الكلاسيكية والمعاصرة، والمراجع الطبية الحديثة، والمؤلفات المتخصصة في الإعجاز الطّبّي، خاصة كتاب *الإعجاز الطّبّي في القرآن الكريم* للدكتور سيد الجميلي. ومن خلال

[1] ماردواليس، منهجية البحث: مقاربة اقتراحية، (جاكرتا: بومي اكسارا، 1995)، ص. 42

هذا المنهج، تأمل الدراسة في الإسهام بتعزيز العلاقة بين الوحي (النقلي) والعقل (العقلي)، وإثراء دراسات الإعجاز القرآني من منظور علمي تكاملي.

ت. مناقشة

نظرة عامة حول الحمل

من الناحية الاشتقاقية، فإنّ كلمة "الحمل" مشتقة من الفعل "حَمَلَ".[2] وفي "المعجم الكبير للغة الإندونيسية"،[3] تُعرّف كلمة "حامل" بأنها المرأة التي تحمل جنينًا في رحمها نتيجة تلقيح البويضة بالحيوان المنوي. وأما في معجم "لسان العرب" و"مقاييس اللغة"، فقد ورد :حامِلٌ وحامِلَةٌ (حوامِلُ) وحُبْلى، وقيل :حَمَلَت المرأة: حَبِلت، تَحْمِلُ، تَحْبَلُ، وكلمة الحمل في اللغة العربية هي مصدر من الفعل حَمَلَ[4].

أما من الناحية الاصطلاحية، فقد فسّر كثير من العلماء الحمل، ومنهم سيدني شيلدون الذي قال إنّ الحمل هو الحالة التي يمرّ بها الكائن الحي عندما تُلقّح البويضة[5].

والحمل هو تجربة عاطفية سعيدة للمرأة، لا سيما عندما يكون الحمل مرغوبًا بشدة. ولكن من جهة أخرى، قد يكون الحمل مصدر قلق، خاصةً للنساء اللاتي يمررن بالحمل لأول مرة (الحمل البكري). وتُسمّى المرأة التي تحمل للمرة الأولى بـ الحامل البكر(*Primigravida*) ، بينما تُسمّى المرأة التي حملت مرتين أو أكثر بـ الحامل المتعددة .(*Multigravida*) ويُقسَّم الحمل إلى ثلاث مراحل: المرحلة الأولى (من 0 إلى 14 أسبوعًا)، المرحلة الثانية (من 14 إلى 28 أسبوعًا)، والمرحلة الثالثة (من 28 إلى 42 أسبوعًا).

خلال فترة الحمل، يحصل الجنين على جميع احتياجاته الغذائية مباشرة من جسم الأم، بما في ذلك البروتينات، والفيتامينات، والأملاح، والمعادن الأساسية لدعم نموّه وتطوّره. وقد أوضح الجميلي أن من أبرز العناصر التي يمتصها الجنين بكثرة هي الكالسيوم والفوسفور، والتي تُؤخذ من مخازن المعادن في عظام وأسنان الأم. فإذا كانت تغذية الأم غير كافية أو غير متوازنة، فقد يؤدي ذلك إلى استنزاف المواد الغذائية الأساسية من جسمها، مما ينعكس سلبًا على وظائفها الفسيولوجية وقدرتها البدنية[6].

أما عملية الحمل التي تمرّ بها المرأة فهي مليئة بالآلام والمحن، وقد سجّل القرآن هذه الحقيقة في قوله تعالى:﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأحقاف: 15]

ففي هذه الآية بيان عظيم نزل قبل أكثر من 1400 سنة، يصف مدى التعب والمشقة التي تتحمّلها المرأة

[2]محمد فؤاد عبد الباقي، *المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم*، (جاكرتا: أنغكاسا)، ص. 540
[3]وزارة التربية والثقافة، *المعجم الكبير للغة الإندونيسية*، جاكرتا: بالاي بوستاكه، 1989م، ص. 786.
[4]أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا،*معجم مقاييس اللغة*، ص. 1014.
[5]قمر الدين هداية، *بحث الدين*، (جاكرتا: ميزان كِروث، 2007)، ص. 54.
[6]السيد الجميلي، *الإعجاز الطبي في القرآن*، بيروت: دار ومكتبة الهلال، 1990م، ص. 71 .

أثناء الحمل، وهي تجربة لا يعرفها إلا من مرّت بها. والموضع المحوري في هذا السياق هو قوله تعالى: ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴾ أي: "لقد حملته أمه بمشقّة، ووضعته بمشقّة أيضًا. واستغرق حمله وفصاله ثلاثين شهرًا".

وفي كتب التفسير الكلاسيكية، كابن كثير، ورد أن الأمر بالإحسان إلى الوالدين ليس أمرًا مجرّدًا، بل هو مبنيّ على تعليل واقعي، يتمثّل في أن الأم قد تحمّلت معاناة شديدة أثناء حملها، وثقلًا وهمًّا وابتلاءات لا يعلمها إلا الله، كما تحمّلت عناء الولادة وآلامها الشديدة.[7]

ويرى الجميلي أن تعبير كُرْهًا يشير إلى المعاناة والألم الجسدي والنفسي الذي تعانيه الأم خلال فترة الحمل والولادة، وهذه المعاناة مستمرة طيلة تلك المرحلة. كما يلفت الجميلي الانتباه إلى أن استخدام الضمير المفرد في حملته ووضعته يدل على المعاناة التي تتحمّلها الأم وحدها دون شريك. وتكرار كلمة كُرْهًا يضفي تأكيدًا بلاغيًا على حجم الألم. كذلك، فإن استخدام حرف الفاء في فوضعته يُشير إلى التسلسل الزمني واستمرار الألم من لحظة الحمل إلى لحظة الوضع.[8]

الجانب النفسي للمرأة الحامل

تُعدّ المرأة الحامل أكثر عُرضةً للقلق، سواءً كان ذلك نتيجةً للتغيرات الجسدية التي تطرأ عليها خلال فترة الحمل، أو بسبب المخاوف التي تسبق عملية الولادة .كما أن العوامل البيئية غير الداعمة قد تُسهم في تدهور الحالة النفسية للأم الحامل .وقد صُوّر هذا القلق في القرآن الكريم، كما ورد في سورة مريم، الآية :22 فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا﴿)مريم :٢٢(فحملتْه، فاعتزلت به مكاناً بعيداً.

تشير الآية إلى أن مريم عليها السلام حينما حملت بعيسى عليه السلام، اختارت العزلة وابتعدت إلى مكان بعيد، وهو تعبير قرآني دقيق يُبرز الاضطرابات النفسية التي قد تعاني منها المرأة الحامل، مثل القلق، والضغط النفسي، والرغبة في الانعزال، وخصوصًا في المراحل المتقدمة من الحمل .وفي سياق الطب الحديث، يُفسّر هذا السلوك كردّ فعل طبيعي للجهاز النفسي للمرأة نتيجة للتغيرات الهرمونية والتحديات الجسدية والعاطفية التي تمر بها خلال الحمل..

وقد أثبتت الدراسات الطبية أن التغيرات الهرمونية أثناء الحمل، مثل زيادة هرمون البروجيستيرون والإستروجين، لها تأثير مباشر على الحالة المزاجية والنفسية للمرأة، مما يجعلها أكثر حساسية وعُرضة للتوتر والقلق والاكتئاب .ومن هنا، فإن العناية بالحالة النفسية للمرأة الحامل لا تقل أهمية عن العناية بصحتها الجسدية..

ويؤكد الأطباء أن الدعم النفسي من الأسرة، خاصة من الزوج، يلعب دورًا كبيرًا في تقليل نسبة القلق

[7]ابن كثير، *تفسير القرآن العظيم*، القاهرة: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، 2000م، جـ13، ص. 14–16.
[8]السيد الجميلي، *الإعجاز الطبي في القرآن*، بيروت: دار ومكتبة الهلال، 1990م، ص. 71.

والتوتر لدى المرأة الحامل .كما أن توفير بيئة إيجابية ومستقرة يساعد في تحسين الصحة النفسية والعاطفية للأم، الأمر الذي ينعكس بشكل مباشر على صحة الجنين وتطوره..

وتبرز هذه الجوانب النفسية أهمية فهم الحمل كمرحلة متكاملة تشمل الأبعاد الجسدية والنفسية والروحية، وهو ما تؤكده النصوص القرآنية والسنة النبوية .فليس الحمل مجرد عملية بيولوجية، بل هو تجربة إنسانية عميقة تتطلب التفهم، والدعم، والرعاية المتكاملة..

مراحل الحمل وتفسيرها من منظور قرآني وعلمي

إنّ القرآن الكريم قد تناول مسيرة خلق الإنسان وتكوّنه في رحم أمه في عدة مواضع، مما يشير إلى اهتمامه العميق بخلق الإنسان وتدرّج نشأته. ومن الآيات البارزة في هذا السياق، قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (آل عمران: 6) هو الذي يصوّركم في الأرحام كيف يشاء، لا إله إلا هو العزيز الحكيم[9]".

وتشير هذه الآية إلى أن الله سبحانه هو الذي يتولى تصوير الجنين وتشكيله في الرحم، حسب ما يشاء من ذكورة أو أنوثة، أو اختلافات جسدية ووراثية، مما يعكس دقة الخلق وتمام العلم والحكمة.

وقد فصّل الجُمَيلي في شرحه لمراحل الحمل، مبينًا أن هذه العملية تمر بمراحل متتالية دقيقة، يمكن تقسيمها إلى ثلاث مراحل رئيسة، وكل مرحلة منها تتضمن تطورات بيولوجية محددة:

المرحلة الأولى: مرحلة التوتة(Morula) تبدأ هذه المرحلة مباشرة بعد عملية الإخصاب، حين يتكوّن الزيجوت (البيضة الملقحة) من اتحاد الحيوان المنوي بالبويضة. ثم يبدأ في الانقسام السريع إلى خلايا متعددة تُعرف باسم "التوتة"، وهي كتلة خلوية تشبه شكل التوت، وتكون أكثر كثافة من خلايا الدم العادية.

في الأسبوع الثاني، يبدأ هذا التكتل الخلوي بالانغراس في جدار الرحم، ويتحول إلى ما يُعرف بالكيسة الأرومية(blastocyst) ، التي تتكوّن من طبقتين مميزتين:

- **الإندوديرم (الطبقة الداخلية)** :التي ستتطوّر لاحقًا لتكون الجهاز الهضمي، والرئتين، وبعض الغدد.
- **الإكتوديرم (الطبقة الخارجية)** :والتي ستكوّن الجلد، الجهاز العصبي، والشعر والأظافر.

وفي الأسبوع الثالث، تتكوّن طبقة ثالثة تُعرف باسم الميزوديرم (الطبقة الوسطى)، وهي مسؤولة عن تكوين القلب، الأوعية الدموية، العضلات، والعظام. هذه الطبقات الثلاث تُعدّ الأساس في بناء جسم الإنسان، حيث

[9]محمد علي الصابوني، *مختصر علوم القرآن العملي*، (جاكرتا: مكتبة أماني، 2001م)، ص. 3.

تنبثق منها كافة الأعضاء والأنسجة،[10] في تدرج خَلقي مذهل، يدل على بديع صنع الله.

المرحلة الثانية: مرحلة التكوين الجنيني الأول (4–8 أسابيع) في هذه المرحلة، ينتقل الجنين من مرحلة الكتلة الخلوية إلى مرحلة أكثر تميزًا، حيث تبدأ الأعضاء الأساسية بالتكوّن، مثل:

- القلب (الذي يبدأ بالنبض غالبًا في الأسبوع الخامس)،
- الدماغ،
- النخاع الشوكي،
- الكبد،
- الكلى.

تبدأ ملامح الوجه في التشكل تدريجيًا، مثل العينين والفم والأنف، وتبدأ الأطراف بالظهور على هيئة براعم صغيرة. وفي نهاية الأسبوع الثامن، يكون الجنين قد أصبح بطول حوالي 2.5 سم، ولكن رغم صغره، تكون معظم الأعضاء الأساسية قد بدأت بالتشكل.

المرحلة الثالثة: مرحلة التكوين الجنيني الكامل (من الأسبوع 9 حتى الولادة)

الشهر الثالث (9–12 أسبوعًا):

يبدأ الجنين في أخذ شكل إنساني واضح. الرأس لا يزال كبيرًا نسبيًا، لكن ملامح الوجه تظهر بوضوح. تتطور الأعضاء التناسلية، ويمكن تمييز جنس الجنين باستخدام التصوير بالأشعة فوق الصوتية، وإن لم يكن ذلك مؤكدًا بعد. تبدأ العظام بالتصلب، وتبدأ الأظافر والشعر بالنمو.

الشهر الرابع (13–16 أسبوعًا):

ينمو الجنين بسرعة، ويبلغ طوله حوالي 15 سم. يبدأ الحبل السري بالامتداد أكثر، وتبدأ العضلات والعظام بالتماسك. بعض الحركات الجنينية تبدأ، ولكن الأم قد لا تشعر بها بعد.

الشهر الخامس (17–20 أسبوعًا):

تبدأ الأم بالشعور بحركة الجنين. ينمو الشعر على فروة الرأس، وتبدأ الحواجب والرموش بالظهور.

[10]أحمد بيضاوي، *أبعاد المحلية في تفسير الإكليل في معانى التنزيل*، المجلد 1، العدد 1، 2015: 49.

يتطور الجهاز العصبي المركزي بشكل ملحوظ.

الشهر السادس (21–24 أسبوعًا):

يصبح جلد الجنين مغطى بمادة شمعية بيضاء تُعرف باسم "الطلاء الجبني(vernix caseosa) "، تحميه من السائل الأمنيوسي. تتكوّن بصمات الأصابع، ويبدأ الجهاز التنفسي بالنمو التدريجي.

الشهر السابع (25–28 أسبوعًا):

تفتح جفون الجنين وتبدأ حاسة البصر في التطور، رغم أنها لا تزال غير مكتملة. تبدأ الخصيتان في النزول إلى كيس الصفن عند الذكور. الوزن يصل إلى حوالي 1 كغ، والطول حوالي 35 سم.

الشهر الثامن (29–32 أسبوعًا):

يزداد تخزين الدهون تحت الجلد، ويصبح جسم الجنين أكثر امتلاءً. الدماغ ينمو بسرعة، وتبدأ بعض القدرات الحسية (مثل السمع واللمس) بالاستجابة.

الشهر التاسع (33–40 أسبوعًا):

في هذا الشهر يتمّ اكتمال تكوين الجنين بصورة شبه تامة، حيث تصبح الرئتان قادرتين على أداء وظيفة التنفس خارج الرحم. يبلغ طول الجنين حوالي 45–50 سم، ووزنه يتراوح بين 3–5 كغ عند الولادة. يُقطع الحبل السري عند الولادة، وتبدأ حياة جديدة خارج رحم الأم، بإذن الله تعالى[11].

إنَّ هذا التدرج المعجز في مراحل خلق الإنسان من نطفة ثم علقة ثم مضغة مخلقة وغير مخلقة،[12] كما ورد في آيات أخرى من القرآن، يُشكِّل دليلاً واضحًا على إعجاز الخلق،[13] ودقة التصميم الإلهي، ويدل على قدرة الله المطلقة، كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ (المؤمنون: 14)

معاناة المرأة الحامل في ضوء القرآن الكريم والطب الحديث: رؤية تفسيرية وطبية

لقد حظيت المرأة الحامل بمكانة خاصة في القرآن الكريم والسنة النبوية، لما تعانيه من آلام جسدية ونفسية

[11]أحمد مصطفى المراغي، *تفسير المراغي*، ترجمة: أنشوري، هيري، بحرون، (سمارانج: طه بوترا، 1992م)، الجزء 26، ص. 24.
[12]عماد زكي البارودي، *تفسير المرأة*، ترجمة: سامسون رحمن، (جاكرتا: مكتبة الكوثر، 2010م)، ص. 51
[13]محمد قريش شهاب، *عقلانية القرآن: دراسة نقدية لتفسير المنار*، (جاكرتا: لنترة هاتي، 2006م)، صـ20

عظيمة خلال فترة الحمل والولادة. أشار المفسر الشيخ الجميلي إلى أنّ الحمل ليس مجرد مرحلة فسيولوجية عابرة، بل هو ابتلاء مركب يجمع بين الألم والمعاناة، والمخاطر الطبية والنفسية التي قد تهدد حياة الأم والجنين معًا. من أبرز ما ذكره الجميلي في هذا السياق هو أن كثيرًا من النساء الحوامل يعانين من حالات القيء الشديد في الصباح، الذي لا يُعدّ عرضًا بسيطًا، بل هو نتيجة لاضطرابات في الجهاز الهضمي وسوء في عملية استقلاب الكربوهيدرات، وقد يؤدي إلى الجفاف وفقدان الوزن إن لم يُعالج بجدية[14].

إضافة إلى ذلك، تُصاب كثير من النساء خلال الحمل بأعراض عصبية ونفسية، كالاكتئاب، والتوتر، والتقلبات المزاجية الحادة، التي قد تؤدي أحيانًا إلى تهديد استقرار الحمل أو حتى الإجهاض. كما تتعرض بعض الحوامل للإصابة بتسمم الحمل، أو ما يعرف بمرحلة ما قبل الارتعاج، حيث يرتفع ضغط الدم ويظهر البروتين في البول، وقد يتطور الأمر إلى حالة الارتعاج الكاملة التي تتميز بالتشنجات وفقدان الوعي، وهي من أخطر حالات الحمل التي تهدد حياة الأم. وتزداد الخطورة حين تكون الحامل مصابة مسبقًا بأمراض القلب، إذ إن الحمل يُجهد الجهاز القلبي الوعائي بشدة ويزيد من الأعباء على القلب.

في سياق آخر، يوضح الجميلي أن من التحديات التي تواجه الأم أيضًا هي الوضعيات غير الطبيعية للجنين، مثل الوضع العرضي أو المقعدي، أو في حالات الحمل التوأمي، وكلها تؤدي إلى صعوبة في الولادة الطبيعية وقد تتطلب تدخلاً جراحياً. يرافق ذلك مشقة جسدية شديدة للأم أثناء الحركة، أو النوم، أو التنفس. وبعد الولادة، لا تتوقف المعاناة، بل قد تُصاب الأم بحمى النفاس الناتجة عن العدوى البكتيرية في الرحم، أو بخراجات مؤلمة في الثدي، مما يسبب آلامًا جسدية ونفسية تستمر لأسابيع[15].

وقد يحدث، في بعض الحالات، أن تفقد الأم حياتها خلال الولادة أو بعدها، إما بسبب النزيف الشديد، أو العدوى، أو المضاعفات القلبية، خصوصًا إذا كانت صحتها العامة ضعيفة أو لا تتلقى رعاية طبية كافية.[16] كل هذه الأوصاف التي يقدمها الجميلي ليست مبالغة، بل تعكس الواقع الطبي الذي يؤكده أيضًا الطب الحديث، مما يجعلنا ندرك حجم المعاناة التي تمر بها المرأة في سبيل إنجاب حياة جديدة.

القرآن الكريم لم يُغفل هذه الحقيقة،[17] بل أشار إليها بوضوح في سورة الأحقاف، حيث قال الله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ﴾)الأحقاف: 15(

[14]عبد المستقيم، *ديناميكية تاريخ تفسير القرآن: دراسة المدارس التفسيرية من العصر الكلاسيكي، والوسيط، إلى العصر الحديث والمعاصر*، (يوغياكرتا: أدب برس، 2014م)، صـ136.

[15]ليليك أمي كلثوم، "دراسة نقدية حول منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم"، إسلاميكا: مجلة الدراسات الإسلامية، 1 مارس 2011م.

[16]محمد قريش شهاب، *تفسير المصباح*: الرسالة، الانطباعات، والتناسق في القرآن الكريم، (جاكرتا: لنترة هاتي، 2002) ج. 1، ص. 1-10.

[17]محمّد بن جرير الطبري، *جامع البيان في تأويل القرآن*، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1994م)، جـ12، صـ335

فقد تكررت كلمة "كُرْهًا" مرتين، للدلالة على شدة الألم والمشقة التي تعانيها الأم في مرحلتي الحمل والولادة. كما أن الآية ربطت هذه المعاناة بالأمر الإلهي بالإحسان إلى الوالدين، مما يدل على عظمة ما تتحمله الأم وضرورة تقديره واحترامه.

ولم يكن النبي محمد ﷺ غافلاً عن هذه الحقيقة، بل عبّر عنها ببلاغته ورحمته، عندما شبّه المرأة التي تموت في الولادة بالشهيدة. فقد ورد في الحديث: المرأة تموت بجمع شهيدة[18]". وقد فسّر العلماء هذا الحديث بأنّ "الجمع" المقصود به هو ما تجتمع عليه المرأة من مشقة الحمل والولادة في وقت واحد، فإذا ماتت بسبب ذلك فإنها تنال أجر الشهادة. وهذا التشبيه النبوي لم يكن مجرد تعبير مجازي، بل هو اعتراف صريح بمدى التضحيات التي تبذلها الأم، ورفعة مقامها في الإسلام[19].

ولكن ينبغي التنبيه إلى أن الإسلام لا يدعو إلى ترك المرأة تعاني حتى الموت لتحصل على أجر الشهادة، بل المقصود هو الحث على تقديم الرعاية الكاملة لها في كل مرحلة من مراحل الحمل والولادة. فالاهتمام بصحتها، وتوفير العناية الطبية، والدعم النفسي والاجتماعي، كلها من واجبات المجتمع تجاهها. وإذا حدثت الوفاة رغم كل الجهود، فإن الله سبحانه وتعالى يُكرم هذه الأم بالشهادة، ويجعل ذلك في ميزان حسناتها، تكريمًا لما بذلته من صبر وتحمُّل.

من خلال هذا الطرح التفسيري والطبي، يتضح أن الحمل ليس مجرد مرحلة بيولوجية،[20] بل هو تجربة إنسانية وروحية عميقة، تمثل ذروة العطاء والتضحية من المرأة. وقد عبّر القرآن الكريم والسنة النبوية عن هذه الحقيقة بأسمى تعبير، مما يدفعنا إلى مزيد من العناية بالمرأة الحامل، تقديرًا لكرامتها، وحفاظًا على صحتها، وصونًا لحقها في الحياة الكريمة[21].

ث. الخلاصة

ليست الحَملُ مجردَ عمليةٍ بيولوجية، بل هو رحلةٌ جسديةٌ، وعاطفيةٌ، وروحيةٌ معقدةٌ للغاية تمرّ بها المرأة. وفي منظور الإسلام، حظيت معاناة الأم وتضحيتها أثناء الحمل والولادة باهتمام خاص، كما يتجلى ذلك في قصة مريم عليها السلام، وفي قول الله تعالى في سورة الأحقاف الآية 15. إن تجربة الحمل المليئة بالابتلاءات تبيّن

[18]رحمة الله وآخرون، محمد قريش شهاب وتأثيره على ديناميكية دراسة تفسير القرآن الكريم في إندونيسيا المعاصرة، في مجلة صحف، المجلد 14، العدد 1 (يونيو 2021)، ص. 132-133.
[19]حسن هثوت، *الدليل الكامل للتربية الجنسية للمسلمين*، ترجمة يودي، (جاكرتا: زهرة، 2014م)، ص 14
[20]فخر الدين الرازي، *التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب*، (القاهرة: دار الحديث، 2012م)، جـ9، صـ345–352
[21]سيد قطب، *في ظلال القرآن*، (جاكرتا: جما إنساني برس، 2001م)، ص. 202

مدى تقدير الإسلام لدور الأم وجهادها. ومن الناحية الطبية، فإن عملية تكوين الجنين التي تمرّ بمراحل متعددة— بدءًا من الزايغوت (اللاقحة) حتى يصبح الجنين جاهزًا للولادة—تُظهر عَجَب الخلق الذي يتوافق مع ما ورد في أحاديث النبي ﷺ وآيات القرآن الكريم. ويعزز هذا الفهم الإيمان بأن ما يحدث في الرحم ليس مجرد نتاجٍ بيولوجي، بل هو مظهر مباشر لقدرة الله سبحانه وتعالى ورحمته. ولذلك، فإن احترام الأم وإدراك مشقة رحلتها أثناء الحمل هو في الحقيقة تعبير عن التقدير للنعمة والمشيئة الإلهية العظيمة.

إنّ المعرفة الطبية المعاصرة لم تتمكن من فهم تفاصيل الحمل والمرأة الحامل إلا في العصر الحديث، بينما أشار القرآن إلى ذلك بدقة قبل أكثر من أربعة عشر قرنًا. وهذا يُعدّ دليلًا على أن القرآن ليس مجرد كتاب هداية روحية، بل يتضمّن إشارات علمية دقيقة لا يمكن دحضها. كما أن تعبير القرآن عن "الوَهن" والتعب في الحمل والولادة يعكس الفهم الطبي للتغيرات الفسيولوجية والنفسية التي تمر بها الحامل، من تغيّرات هرمونية، وضغط على الأعضاء الداخلية، إلى احتمال حدوث اضطرابات نفسية كالاكتئاب والقلق قبل وبعد الولادة.

ومن ثمّ، فإن سورة الأحقاف الآية 15 لا تُظهر فقط اهتمام الإسلام بجهاد الأم، بل تُعدُّ أيضًا مظهرًا من مظاهر الإعجاز الطبي في القرآن الكريم، إذ تكشف عن حقائق بيولوجية ونفسية حول الحمل بدقة علمية. فهذه الآية تُشكّل نقطة التقاء بين الوحي الإلهي والعلم الحديث، وتؤكّد في النهاية أن كلَّ ما يجري في الرحم هو تجلٍّ لرحمة الله، وحكمته، وقدرته اللامحدودة. واحترام الأم ليس مجرد توجيه أخلاقي، بل هو اعتراف بعظمة الخلق الإلهي المتجلّي في كل لحظة من لحظات الحمل.

المراجع

ابن كثير، *تفسير القرآن العظيم*، القاهرة: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، 2000م، جـ13، ص. 14–16.
أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا،*معجم مقاييس اللغة*، ص. 1014.
أحمد بيضاوي، *أبعاد المحلية في تفسير الإكليل في معانى التنزيل*، المجلد 1، العدد 1، 2015: 49.
أحمد مصطفى المراغي، *تفسير المراغي*، ترجمة: أنشوري، هيري، بحرون، (سمارانج: طه پوترا، 1992م)، الجزء 26، ص. 24.
حسن هثوت، *الدليل الكامل للتربية الجنسية للمسلمين*، ترجمة يودي، (جاكرتا: زهرة، 2014م)، ص 14
رحمة الله وآخرون، محمد قريش شهاب وتأثيره على ديناميكية دراسة تفسير القرآن الكريم في إندونيسيا المعاصرة، في مجلة صحف، المجلد 14، العدد 1 (يونيو 2021)، ص. 132-133.
السيد الجميلي، *الإعجاز الطبي في القرآن*، بيروت: دار ومكتبة الهلال، 1990م، ص. 71 .
السيد الجميلي، *الإعجاز الطبي في القرآن*، بيروت: دار ومكتبة الهلال، 1990م، ص. 71.
سيد قطب، *في ظلال القرآن*، (جاكرتا: جما إنساني برس، 2001م)، ص. 202
عبد المستقيم، *ديناميكية تاريخ تفسير القرآن: دراسة المدارس التفسيرية من العصر الكلاسيكي، والوسيط، إلى العصر الحديث والمعاصر*، (يوغياكرتا: أدب برس، 2014م)، صـ136.
عماد زكي البارودي، *تفسير المرأة*، ترجمة: سامسون رحمن، (جاكرتا: مكتبة الكوثر، 2010م)، ص. 51
فخر الدين الرازي، *التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب*، (القاهرة: دار الحديث، 2012م)، جـ9، صـ345–352
قمر الدين هداية، *بحث الدين*، (جاكرتا: ميزان كِروڤ، 2007)، ص. 54.
ليليك أمي كلثوم، "دراسة نقدية حول منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم"، إسلاميكا: مجلة الدراسات الإسلامية، 1 مارس 2011م.
ماردااليس، منهجية البحث: مقاربة اقتراحية، (جاكرتا: بومي اكسارا، 1995)، ص. 42
محمّد بن جرير الطبري، *جامع البيان في تأويل القرآن*، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1994م)، جـ12، صـ335
محمد علي الصابوني، *مختصر علوم القرآن العملي*، (جاكرتا: مكتبة أماني، 2001م)، ص. 3.
محمد فؤاد عبد الباقي، *المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم*، (جاكرتا: أنغكاسا)، ص. 540
محمد قريش شهاب، *تفسير المصباح*: الرسالة، الانطباعات، والتناسق في القرآن الكريم، (جاكرتا: لنترة هاتي، 2002) ج. 1، ص. 1-10.
محمد قريش شهاب، *عقلانية القرآن: دراسة نقدية لتفسير المنار*، (جاكرتا: لنترة هاتي، 2006م)، صـ20
وزارة التربية والثقافة، *المعجم الكبير للغة الإندونيسية*، جاكرتا: بالاي بوستاكه، 1989م، ص. 786.